عرض الكتب : (١)

ريح الشرق : للدكتور أنور عبد الملك

عرض د. أحمد زكريا الشلق

الكتاب نشرته دار المستقبل العربي بالقاهرة عام ١٩٨٣ ، ويقع في ٣٦٢ صفحة ويضم مقدمة للاستاذ فتحي رضوان ، ثم تمهيد وثمانية عشر فصلا هي عبارة عن دراسات منفصلة وحصيلة مناقشات وحلقات بحث ، نشرها المؤلف من عام ١٩٧٣ حتى ١٩٨٣ في دوريات عربية وعالمية ، تجمع بينها وحدة موضوعية اهتم بها المؤلف وشكلت همومه ومعاناته منذ زمن طويل .. والمؤلف هو الأستاذ الدكتور أنور عبد الملك ، الكاتب والمفكر المصري العربي المعروف ، والذي أضاف للمكتبة العربية دراسات قيمة هامة على رأسها : الجيش والحركة الوطنية ، الفكر العربي في معركة النهضة ، ثم نهضة مصر .. الخ وقد اهدى المؤلف كتابه الى روح الشهيد البطل أحمد عبيد ، من قادة الثورة المصرية (١٨٨٢) وبطل من أبطال معركة التل الكبير .

والمجال الموضوعي للدراسات يتناول التراث الحضاري للشرق والممتد زمانا على مدى القرون ، والممتد مكانا من أقصى الشرق ، من اليابان حتى الدار البيضاء ، حيث يوجد رباط مشترك بين شعوب المنطقة ، وحيث يوجد العرب في قلب حركة ينبغي أن تعيد للشرق مكانه ومكانته في القيادة والتجديد والبناء .. ولتهب من جديد ريح الشرق في حركات تحرير وثورات وعمليات تغيير ايجابية .. برغم الصدامات المتكررة مع الهيمنة الغربية والتسلط الاستعماري الصهيوني .

وفى التمهيد يتناول المؤلف ما أسماه بمفاتيح المبـــادرة التاريخية والتى ظلت بين أيدى الغرب المهيمن ، منذ مرحلة التغيير — وهى مرحلة ١٩٤٩ حين انتصرت ثورة الصين — وحتى عام ١٩٧٣ ، مرحـــلة حرب أكتوبر وتفجير سلاح النفط •• حين بدأت فى رأيه ، تنتقل تدريجيا مفاتيح المبادرة الى شعوب الشرق ، خلال حركات التحرر الوطنى وحـــروب التحرير والثورات الوطنيةوا لاجتماعية التى تبلورت منذ مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ، واستمرت تواجه من الاستعمار والصهيونية ضد تحـــرك شعوب الشرق ودولها وقادتها • ويرى المؤلف انه انطلاقا من خصوصيتنا المصرية ، العربية ، الشرقية يكون الاطار التاريخى والفكرى والوجدانى لهـــذه الدراسات ••

— وفى الفصل الأول وعنوانه « من أجل استراتيجية حضارية » يتتبع المؤلف محاولات الاستعمار والامبريالية تركيز هجومها على العرب لتفتيت شخصيتهم القومية ، لاقتلاع جذور المقاومة الحضارية للموجات الاستعمارية المنظمة ضدهم تاريخيا ، ومحاولة ضرب المحاولة الثانيـــة للنهضة فى العالم العربى (المحاولة الأولى ١٨٠٥ — ١٨٨٢) وقد وضع المؤلف هذه المرحلة من الصراع فى اطـــارها ضمن سلسلة الصراعـــات التاريخية الممتدة منذ عشرة قرون ، وينبه الى أن الخروج من الأزمـــة يقتضى ترسيخ الطلائع والقيادات السياسية فى الأرض التى تحيا عليها شعوب العالم بدراسة الواقع الخاص لكل قطر للتوصل الى خصوصيته، ثم دراسة ميزان القوى المتغير فى العالم ، ذلك أنه لم تعـــد هنـــاك دائرتان فقط للحضارة — هى الحضارة الغربية والحضارة الشرقية — فقد ظهرت حضارة الشرق الاشتراكى ومركزها • الصين ••

— أما الفصل الثانى فقد تعرض لمسألة فائض القيمة التاريخى مع

تتبع لجذور العنف والتسلح ، وتواجدها داخل التركيب التاريخى للنظام الدولى ، أى فى التكوين التاريخى للهيمنة الغربية المتجذرة فى فائض القيمة التاريخى ابتداء من القرن الخامس عشر ، حيث صعد الغرب الى مركز الهيمنة ، وحتى اجتماع يالتا عام ١٩٤٥ ، حين قضت أوربا على مراكز القوة فى الشرق ، فلم يعد فائض القيمة التاريخى محصورا ضمن مجال الاقتصاد فحسب وانما أتاح ذلك للبورجوازيات الغربية الوسيلة لضمان هيمنتها على العالم ، وبفضله أمكن للثورة العلمية الصناعية أن تحدث ، وحيث تم التدرج من الأشكال المبكرة للاستعمار الى الامبريالية الكلاسيكية ، الى الشكل الأوقع من الامبريالية فى عصرنا أى امبريالية الهيمنة .

ـ وفى الفصل الثالث يتناول المؤلف الغرب فى مهب الوفاق الدولى من خلال نظرة جيوسياسية ، ويتعرض المؤلف خلاله لفهم النهضة العربية ، بدراسة التكوين التاريخى للدول القديمة فى نطاق العالم العربى ، ومنطقة الثقافة ـ القديمة للعروبة ، فى الاطار الأشمل الحضارة الإسلامية ، وفى نطاق تشكيلها الاجتماعى ، ثم فى الاطار الجيوبوليتكى .

ـ أما الفصلان الرابع والخامس فيتناولان حرب أكتوبر من حيث مغزاها الحضارى ومن حيث توحيدها للعرب ، وبالنسبة للنقطة الأولى فقد حاول المؤلف التركيز على شخصية مصر الحضارية وتحرك أكتوبر مع ربط ذلك باطار حركة النهضة العربية بمفهومها الشامل منذ القرن التاسع عشر ، مع معالجة فكرة كيف أن تحرك أكتوبر قد تم فى اطار عالم متغير من حيث تشكيل موازين القوى وعلاقاتها والتى بلغت مرحلة الوفاق قبل اندلاع الحرب بعام ، وما صاحب ذلك من تطور خطير ، ثم يركز المؤلف على فكرة أن نهضة مصر المعاصرة جزء لا يتجزأ من النهضة العربية

الشاملة ، وان كانت متميزة وموازية لتلك النهضة التى لايمكن فصلها عن نهضة مصر •• وقد أشار المؤلف الى أن حرب أكتوبر لم تنته بعـد ، ذلك اننا نعيش آثارها ، كما أنها جاءت عنوانا قويا لنهضة العالم العربى، وهى النهضة التى تكون أحد قطبى نهضة الشرق فى عصرنا ، جنبا الى جنب مع نهضة آسيا ومحورها الصين الشعبية •

— أما الفصل السادس فيتناول ثلاث رسائل حول الاستعمار الصهيونى ، وفيه يفند المؤلف ثلاث مسلمات اعتاد الباحثون التسليم بها : أولها أن أساس أزمة الحرب والسلام فى الشرق العربى هو قضية فلسطين ، ويرد المؤلف على ذلك بأن الواقع والتاريخ لايؤكدان ذلك ، فقضيـة فلسطين آخر الحلقات وأخطـرها ، فالصراع بين دول الشرق وحضـاراته من ناحية والغزاة الآتين من الشمال قديم ، منذ خمسين قرنا • والمسلمة الثانية أن الصهيونية ليست الا عميلة وطليعة للاستعمار الأمريكى ، والواقع أنها ليست الا آخر وأخطر حلقة فى سلسلة مستمرة من العدوان الغربى ضد الشرق العربى ، والصهيونية ليست الا الوجـه المعاصر للاستعمار الغربى ضد العرب عبر التاريخ ، وأن الاستعمار العنصرى الصهيونى استعمار عالمى قائم بذاته وليس أداة للاستعمار الأمريكى • والمسلمة الثالثة هى أن حلفاء الأمة العربية يتمثلون فى تكوينات اليسار فى الغرب وخاصة المثقفين ، ويرى أن الحليف الطبيعى يتمثل فى مجموعة الدول الاشتراكية وعلى رأسها روسيا والصين ، الدول وليس الحركة العمالية العالمية ، ويتهم المؤلف قادة الفكر اليسارى فى الغرب بالعمل بشكل دائم لعزل المثقفين العرب عن طرح قضايا الثورة الاشتراكية طرحا قوميا وطنيا وحدويا ، ويضعفون الجبهات الوطنية الممتدة داخل الأمة العربية باسم « قدسية » الصراع الطبقى و « أولوية » التضامن بين اليسار فى كل مكان •

— وفى الفصلين السابع والثامن وعنوانهما « الاسلام السياسى ، والاسلام والعروبة » يتناول المؤلف فيهما فكرة ظهور الاسلام السياسى فى العصر الحالى كقوة ديناميكية عميقة الجذور ، وكقوة تغيير وتطوير من الجماهير الشعبية ، وتطابق ذلك مع المناطق التى تنمو فيها التناقضات بين مختلف المعسكرات الاقتصادية والاجتماعية والأيديولوجية ، وفى مناطق الصراع بين الشرق والغرب ، حيث تكون مقدرات الحرب والسلام ، فى نواة الاسلام السياسى ، ثم ينتقل الى معالجة موضوع الاسلام فى الفكر الوطنى التقدمى ، موضحا كيف أن الاسلام نظرية اجتماعية للصيغة الوطنية والتطور الاجتماعى . أما بالنسبة للاسلام ، والعروبة فيعتقد المؤلف أنه لا تناقض بين الولاء للوطن والانتماء للأمة العربية ، وأنه لا تناقض مع الشعور بالانتماء الى الدائرة الأوسع وهى الاسلام .

— وفى الفصلين التاسع والعاشر يقدم المؤلف تحليله لفكرة تكوين الجبهة الوطنية بوصفها استراتيجية تاريخية مستعرضا الشرق كنمط للاستمرارية الاجتماعية والاندماج السياسى ، ثم مسألة العالمية ومفهوم علمية ادماج العالم ، ثم تركيب هذه الجبهة الوطنية الممتدة ، والتحديات الحضارة والتاريخية التى تواجهها ، منتقلا الى دراسة الارتباط بين الاستراتيجية التاريخية والاستراتيجية الحضارية ، ليجيب على السؤال : هل هى مسألة تنمية أم نهضة حضارية ؟ من خلال استعراضه للصياغة التاريخية لتخلف المجتمعات العربية وعلاقة ذلك بأنماط التنمية الغربية .

— ثم يتعرض المؤلف خلال الفصل التالى لدراسة وتحليل قضية « احتجاب مصر » بعد أكتوبر ١٩٧٣ ، موضحا مغزى الهجمة الحضارية الاستراتيجية للامبريالية والصهيونية ، التى تستهدف تفكيك الوحدة المقدسة ، منبها الى خطورة احتجاب مصر وخروجها من الأمة العربية من مركز قوتها الفعالة ووحدتها .

وفى الفصل التالى يتناول المؤلف موضوعا هاما يتعلق بالخرافة والواقعة التاريخية ويحاول الاجابة عن التساؤلات المتعلقة بالتراث ، ماذا نأخذ منه وماذا نترك ؟ وما هو مفهوم التوفيق بين التراث والمعاصرة ، لكل ذلك فى ضوء الخصوصية الوطنية الثقافية للمجتمعات العربية فى اطار الأمة العربية ، وفى اطار الحضارة الشرقية الاسلامية الأفرو آسيوية ، كما يتعرض المؤلف في نفس الفصل لدور المثقف العربي ودوره فى المجتمع • أما الفصول من الثالث عشر حتى السادس عشر فيتناول فيهم مفهوم العالمية والوطنية ، وعلاقة ما هو عالمى بما هو وطنى • كما يجيب المؤلف عن أسئلة تتعلق بعلاقة العرب بالغرب من حيث المقاومة والتواصل والتفاهم والالتقاء ، وخطورة التغريب الاسلامى ، وحكاية الحوار الأوروبى المتوسطى الخ ••

ويرفع المؤلف فى النهاية شعارا هاما مؤداه « ليخدم كل ما هو أجنبى ما هو وطنى » ثم يقدم لنا فى النهاية أنموذجا لمشروع حضارى متكامل ، يجمع بين الفكر والعمل يتناول مسألة التبعية والتحرر ، التحديات التى تواجه الفكر العربى ورؤيته للنظام العالمى الجديد ، وفى النهاية يجيب على هذا السؤال : هل يمكن للفكر العربى بما له من تأثير عالمى أن يوفر امكانية حوار حقيقى بين الحضارات ؟ •

ـــ وفى الفصلين الأخيرين (١٧ ، ١٨) يحلل المؤلف العلاقة بين ظهور مراكز للتأثير والنفوذ والقوة العالمى فى آسيا يعنى أساس التحالف الصينى اليابانى من ناحية ومن بوادر ظهور القوة العربية ـ الاسلامية الشرقية الأفرو آسيوية فى منطقتنا من ناحية أخرى • وذلك بادراك العلاقة بين جناحى الشرق ، الأمر الذى يمنحنا فى المنطقة العربية امكانات
العلاقة بين جناحى الشرق ، الأمر الذى يمنحنا فى المنطقة العربية امكانات
هائلة ، منها على سبيل المثال الطاقة التكنولوجية والعلمية اليابانية ، كما يصبح لزاما على استراتيجيتنا الحضارية الشرقية ـ وفى قلبها الاستراتيجية الحضارية العربية ـ الاسلامية ـ أن تمهد مكانتها فى

قلب حضارات الشرق ، وعلى تفاعل واع وسطى بين القوى الاشتراكية العظمى فى العالم ، وعلى صلة واقعية بالقطاعات المختلفة للحضـــارة الغـــربية •

ـ والكتابة فى النهاية دعوة هامة لمناقشة القضايا الحيوية التـــى أثارها المؤلف المهتم دائما بقضايا وطنه ، وطـــرحه لتصوراته المتعلقـــة بالحضارة وموقع امتنا العربية الاسلأمية فى منطقة الصراع التاريخى بين الشرق والغرب • كما أنه دعـــوة للشرق ، وقد نهض من سباته ، لأن يعود الى دوره الحقيقى فى مواجهة الهيمنة الغربية بشكل حاســـم ، مستعيدا حضارته وروحانيته وعلمه ورسالاته •• وقد تميز الكتاب كذلك بالآراء والبرامج التى قدمها المؤلف ، وبتنوع القضايا التى أثارها وعمقها، بمقدرته الخاصة على التحليل والربط واعادة التركيب ، وان بدا بعضها أحيانا غير مترابط ، الى جانب استرداد بعضها ، الى حد التكرار أحيانا أخـــرى ، لمزيد من التأكيد والوعى بحركة الفكر والتـــاريخ بموقعنا فى العالم المعاصر •